11 me Année No. 536

Lundi - 11 - 10 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليماً

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

الأعياد اليوميـــة
والأعياد الموسمية
للدكتور زكي مبارك

خطبة سجلت في إذاعة القاهرة لتلقى في إذاعة فلسطين ، أما بقية الكلام فلاحظات كتبت عن أحاديث العيد

أيها السادة :

أقدم إليكم أصدق التحيات ، راجياً أن يصل صوتي إلى أسماعكم وأنتم بخير وعافية ، وآملاً أن تعيشوا إلى أمثال هذا العيد في رغد وطمأنينة وصفاء

أما بعـد فلكل منا أعيادٌ يومية ، وأعياد موسمية ، فما الفرق بين هذه الأعياد وتلك الأعياد ؟

الأعياد الموسمية أعيادٌ شرعها الأنبياء ليوقظوا روح السرور في الناس ، عساهم يلتفتون إلى موكب الحياة من حين إلى حين

هل تعرفون السر فيما قضت به الشريعة الإسلامية من جعل الصوم حراماً في يوم العيد ؟

كان ذلك لأن الرسول خاف على أمته أن تتنسك تنسك الأموات فلا تفرح ولا تبتهج في أي يوم ، ولو كان يوم العيد

هل تعرفون السر في أن يقول القرآن : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ؟

إنه يدعوكم إلى لقاء الله فى الصلوات وأنتم فى أجمل ما تملكون من الثياب ، لتفهموا أن الله يحب أن يراكم فى نضارة النعيم لا فى قساوة الشقاء

إن الأعياد الموسمية توحى بالسرور الشامل حين تصوّر الناس وقد احتشدوا للفرح والابتهاج ، وحين تدعو كل فرد إلى التجمل ، وحين تدعو كل بيت إلى إعداد الأطايب من الطعام والشراب ، فمن تلك المظاهر المتجمعة يسرى روح المرح فى الجماهير ، وتشعر النفوس بمعانى البِشر والأنس ، وتلتفت القلوب إلى حظوظها المنسية فى دنيا السعادة والهناء

ولعل زكاة الفِطر لم تُشرع إلا لهذا الغرض ، فالمراد منها أن تثور موجةٌ من البر والإحسان ، موجةٌ رحيمة تقضى بأن يجد الفقراء والمساكين ما يغنيهم عن التفكير فى هموم العيش أيام العيد

تصوروا كيف تكون الحال لو أدى الموسرون جميعاً زكاة الفِطر بإخلاص

تصوروا كيف يعمّ الفرح فى مثل هذه الحال ، فيفرح الغنىّ بالتوفيق إلى أداء الواجب ، ويفرح الفقير بأن يجد جاراً يواسيه باسم الشرع لا باسم الإفضال ، فما كانت الزكاة إفضالاً وإنما هى واجب مفروض لا ينتظر صاحبه من الناس أى ثناء

فى هذه الحال يكون الفقراء ضيوف الله فى أيام العيد ، لا ضيوف الموسرين من الجيران ، ومع هذا تذيع الثقة الجميلة فترفع أقدار المزكّين ، وتزيدهم إيماناً بأن المعروف لا يذهب بين الله والناس

ومن مزايا الأعياد الموسمية أنها تذكّر بحقوق ودية ينساها الأهل والأقارب فى أكثر الأحايين ، فما فى كل يوم نسأل عن أقربائنا وأصدقائنا ، ولا فى كل أسبوع ولا فى كل شهر أو كل شهرين ، ولكننا نشعر بوجوب السؤال عنهم فى أيام العيد ، لنجازيهم لطفاً بلطف ووفاء بوفاء

والأعياد الموسمية تهز نا قهراً على تحية من يئسوا من التحية ، لأنهم ذهبوا إلى العالم البعيد ، عالم الموت ، ولم تبق فرصة لتحيتهم غير فرصة العيد

أتدركون معنى الجمال الروحى فى أن يكون أول من نحييهم فى ليلة العيد هم الأموات ؟

تلك التفاتة معنوية لها قيمة عظيمة ، والوفاء الحق هو الوفاء لمن لا يملك الجزاء

أيها السادة :

إن فضائل الأعياد الموسمية أوضح من أن تحتاج إلى شرح ، فتفضلوا بسماع كلمة وجيزة عن الأعياد اليومية ، الأعياد التى تواجهنا فى كل يوم ، لو عرفنا كيف نروض النفس على إدراك الخفايا من نِعم المنعم الوهاب ، وهى نِعم تتجدد فى كل لحظة ، فنحن بها كل يوم فى عيد

تشرق الشمس والعافية فى بدنك ، والزاد فى دارك ، فيومك يوم عيد

تغرب الشمس وحولك أهلك ، والنوم يداعب جفونك ، فليلتك ليلة عيد

قد تطوف بك أحزان تثير دموعك ، وهذا يقع من وقت إلى وقت ، ولكنه شاهد على أنك فى عيد ، فالدموع فى عيون الباكين أدوية ربانية تصنع فى طب العيون ما يعجز عنه أطباء العيون ، والأحزان فى صدور المكروبين مراهم روحية تصنع ما يصنع المرهم الواقى فى شفاء الجرح البليغ

هل تعرف حكمة الله فى الألم ؟

إن الألم نعمة نفيسة ، فهو بشير العافية ، لأنه ينبه إلى المرض ، والتنبه للمرض يدعو إلى العلاج وهو باب الشفاء

والآفة الخطيرة هى انعدام الإحساس بالآلام ، فإن تألمت فاعرف أنك فى حيوية ، وتذكّر حكمة الله فى الألم ، لتعرف أنك فى عيد

الحزن علامة قوة لا علامة ضعف ، لأنه يشهد بإدراكنا لقيمة ما نفقد ، ولا نكون كذلك إلا ونحن أحياء ، فإن حزنت فاعرف أنك بعافية وأنك فى عيد

وكيف تكون العاقبة لو عشنا بلا أحزان وبلا دموع ؟

إن الأحزان والدموع كانت ولن تزال من أنصبة الموهوبين والحزن العظيم لا يكون إلا من نصيب الرجل العظيم ، ولو كان

البكاء عيباً لنزه الله الأنبياء عن البكاء ، فلم يبك يعقوب على يوسف ولم يبك محمد على إبراهيم ، فإن بكيت فاعلم أنك بخير وأنك فى عيد

إن كنت غنياً فتذكر أن الغنى من النعم السوابغ ، فأنت كل يوم فى عيد

وإن كنت فقيراً ، فما عيدُك ؟ وهل تكون للفقراء أعياد يومية ؟

افتح قلبك واسمع هذا الدرس :

الفقراء فى كل زمان وفى كل مكان هم عماد الدنيا ، فبجهودهم تُقام الصروح الشوامخ ، وبأيديهم تُحفَر الأنهار ، وتُزرع الحقول ، وتُنشأ البساتين ، فإن كنت من هؤلاء فمن حقك أن ترى أنك كل يوم فى عيد

خزان أسوان من صنع يدك ، كما كان برج بابل من صنع يدك ، وكما كان سور الصين من صنع يدك ، وما قام فى الدنيا بناء وأنت غائب ، يافقيراً يعمل ليجد القوت ، فأنت بجهادك مصدر العيد لمن ينعمون بالعيد ، ولو عقلتَ لأدركتَ أنك كل لحظة فى عيد

ولنفرض أنك كناس يكنس الشوارع ويملأ عينيه ورئتيه بالتراب فى كل يوم ، حتى يوم العيد ، فهل تعرف نعمة الله عليك ؟

تذكر أن الغبار يقذى العيون ولكنه لا يقذى عينيك ، لأن الله يحميك ، وتذكر أن الغبار قد يُورث مرض السل ، ومع هذا لم نسمع أن كناساً مات بالسل ، فما يرضى الله بالمرض لمن يحاربون المرض ، كما تحاربه بالمكنسة يا حضرة الكناس ، فأنت كل يوم فى عيد

أيها السادة

فى ظلال هذا الفهم لنعم الله ندرك أننا كل يوم بعافية ، وأننا كل يوم فى عيد ، وأننا مسئولون فى كل لحظة عن إعلان السرور بما يجود به المنعم الوهاب

الطفل يطالب أهله بحلة جديدة فى العيد ، لأنه لا يعرف غير الجديد ، فما حاجتنا إلى حُلل من القطن أو الصوف أو الحرير ونحن فى حُلل من العافية للجهاد فى سبيل الرزق الحلال

أنا لا أرى الله خص بالشقاء جيلاً من الناس

البصير فى نعمة لأنه يرى محاسن الوجود

والضرير فى نعمة لأنه لا يرى مساوىء الوجود

والأصمّ المحروم من لطائف الأنغام صانه الله من سماع المرذول من الاغتياب

نحن جميعاً فى رعاية الله ، فنحن كل يوم فى عيد

لقد غلا كل شىء فى أعوام الحرب ، إلا الماء ، لأنه أنفس موجود ، والله يجود بالنفيس قبل أن يجود بالخسيس ، وليس فى نعم الله خسيس

أيها السادة

إن الأعياد الموسمية أعياد العوام ، أما الأعياد اليومية فهى أعياد الخواص ، وأنا أدعوكم إلى التأمل فى نعم الله عليكم لتكونوا كل يوم فى عيد

نِعم الله لا تعرف شعبان ولا رمضان ولا تلتفت إلى المواقيت .

نِعمُ الله تُساق مع الأنفاس فليس لها رسوم ولا حدود ، والسعادة من نصيب من يؤمن بأن الله منعمٌ ومتفضل فى جميع الأحوال

ولكن هذه الغاية لا تبدو بوضوح فى كل وقت ، لأن قلوبنا معرضة لغشاوات من الجهل والغرض والطمع والإسفاف

نحن نباتٌ ظهر فوق الأرض ، وأغصاننا مع هذا أطول من جذورنا ، لأننا مجذوبون إلى السماء لا إلى الأرض ، فماذا تريد بنا يا فاطر السماء ؟

نحن منك وإليك ، ولن ننحط فى أى حال ، فما ينحط من يؤمن بك ولو عاش فى ظلمات الأدغال

سمعنا وقرأنا أن عندك نعيما وسعيراً ، فلمن أعددت نعيمك وسعيرك ؟

نحن لا نطالب بأن نكون من أهل رحمتك ، فلسنا لذلك بأهل ، وإنما نرجو أن تجعلنا من أهل عذابك ، لنثق بالصلاحية لأن تضع أعمالنا فى الميزان

العيد هو يومنا عندك ، ولو فى أسوأ الفروض ، فمن السعادة أن نقف بين يديك مسئولين

والعيد الأعظم هو أن توقظ ضمائرنا فى كل وقت لنعاني ألف حساب قبل يوم الحساب

لا عيد ولا جديد إلا إن رجونا رحمتك وخشينا عذابك ، فامنح قلوبنا نعمة الخوف منك والاعتماد عليك لنشعر بأننا كل يوم فى عيد

السماء فى عيدك ، والأرض فى عيدك ، والشمس فى عيدك والقمر فى عيدك ، والنجوم فى عيدك ، وأنت العيد لما نجهل من المواجيد ، فأنت فى غضبك ورضاك عيدٌ وألف عيد ، فهل تسمح يا إلٰهى بأن نكون بفضلك كل يوم فى عيد ؟

أحاديث العيد

لم نقل مع المتنبى : « عيدٌ بأية حال عُدتَ يا عيدُ » فقد وصل ونحن بعافية ، فلله الحمد وعليه الثناء ، أدام الله علينا وعلى قرائنا نعمة الشعور بكرمه الموصول

١ — فى يوم العيد وصل خطاب من الأستاذ حافظ محمود يقول فيه إن هجوم السيد حسن القاياتى مدسوس عليه ، وأنه لم يخطّ بقلمه حرفا مما دار حوله الجدال فى الأسابيع الماضية ، ويدعونى إلى كتابة كلمة تَرضية يَطيب بها قلب ذلك الصديق

وأقول إن المعلومات التى تضمنتها الخطابات المنشورة باسم الأستاذ القاياتى معلومات مريبة لأنها متصلة بشؤون لا يعرفها سواه ، فإن لم يكن هو الكاتب فلن ينكر أنه مصدر المكتوب ، وبهذا يقع عليه شىء من المسئولية

ثم أقول إنه كان يستطيع تكذيب ما نشر باسمه لأول مرة فينحسم الخلاف قبل أن يطول ، ولكنه سكت نحو خمسة أسابيع ، ثم بدأ فى التشكى من العدوان عليه ، وهذا من أغرب ما يقع فى معاملات الناس

وأنا مع هذا أعتذر للصديق عما بدر منى فى مساجلته ، وأعلن أنى أعتزّ بصداقته كل الاعتزاز ، وأنى لن أسمع فيه كلاما ولو نَشر بنفسه فى مغاضبتى ألف خطاب

وهنا أذكر مذهبي فى معاملة رجال الأدب ورجال السياسة ، وهو مذهب يستحق التنويه و يَصلحُ للاقتداء ، فما ذلك المذهب ؟

خلاصة هذا المذهب أنى لا أتكلم عن أهل الأدب والسياسة بما يشبه النقد فى أى مجلس ، لأن الكلام عُرضة للتزيد والتحريف ، وإنما أكتفى بما يخطه قلمى فى الجرائد والمجلات ، إن طاب لي أن أناوش أحد الرجال

وأذكر أيضاً أنى أعيش فى عزلة بعد الرجوع من عملى إلى بيتى ، فما يحتاج إلى غشيان الأندية غير من يعيشون بمنجاة من متاعب الواجبات ، وأنا أحمد الله الذى تفضل فأكثر من أعبائى فى حياتى ، بحيث لا أجد فرصة لمسامرة المعارف والأصدقاء ، فمن زعم أنه رآنى وأنى حدثته عن فلان أو عِلاّن بكيت أو كيت فهو من الكاذبين

٢ — من عادتي أن أزور قصر جلالة الملك فى يوم العيد لأتشرف بتقييد اسمى ، ولأرى من كبار الرجال من لا يتسع الوقت لرؤيتهم فى غير ذلك الجناب

وقد تأخرت قليلا فى هذه المرة فلم أصادف غير الدكتور هيكل باشا والأستاذ فؤاد باشا سراج الدين ، مع حفظ الحق لبقية من رأيت هنالك من رجال الأدب والبيان

وضاعت الفرصة فى لقاء النقراشى باشا ، ولو رأيته لاعتذرت عن ضياع حظى من زيارة داره فى رمضان ، مع أنه من جيرانى بمصر الجديدة ، ومع أن زواره يتزودون بأكرم زاد من أطايب الأحاديث ، بفضل المجلس الذى ينعقد بداره فى أمسية رمضان ، كما كان الحال فى أكثر البيوت قبل الزمن الجديد ، زمن السهر فى الأندية والقهوات

٣ — كان يجب أن أزور أهلى وأقربائى فى سنتريس ، ولكنى رجعت غضبان ، غضبان من شؤون لا تُغضب إلا من يكون فى مثل حالى من حب البر وبغض العقوق

وقضى الزحام باليأس من الظفر بمكانٍ فى إحدى السيارات ، فتفضل صديق بتوصيلى إلى القناطر الخيرية لأركب القطار من هناك ، ولكن القطار تحرك قبل وصولى بدقائق ، ولا بد من الانتظار نحو ثلاث ساعات ، فماذا أصنع ؟

وقفت على قنطرة الرياح التوفيق مع الواقفين وهم عشرات

أو مئات فى انتظار السيارات ، فماذا أصنع ؟

فكرت فى مروءة أصحاب السيارات الخصوصية ، وقد يكون فيهم من يعرفنى ، فكنت أقول كلما مرت سيارة خصوصية : « خذونى معكم » ، ولكن أين من يسمع ؟

واستجمت سيارة لندائى ، وبدت منها يد لطيفة كأنها الغرام فى ليلة عيد ، فمضيت وركبت وأنا لا أصدق أننى وصلت !

ولكن أين صاحب السيارة ؟

لقد نزل للبحث عنى ، ثم تاه فى غمار تلك الخلائق ، فهتفتْ صاحبة المعصم تعال تعال فالدكتور وصل !

وبعد التحيات المعروفة فى مثل هذه الظروف مضت السيارة وأنا لا ألتفت إلى الوجه الذى يشعّ نوره بمثل ما تشع الشمس عند الأصيل ، وهل يليق بى أن ألتفت إلى وجه سيدة قد تكون زوجة هذا الرفيق ؟

— حَيِّها يا دكتور بكلمة

— ومَن أحيّي ؟

— هذه نور

— أى نور ؟

— نور الهدى بطلة « فلم جوهرة »

والتفتُّ فإذا فتاة لطيفة فى لون الصهباء ، لم يشمشع وجهها بطلاء ، فعرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الجميلة بأنها صفراء

هل رأيتم جمال الاصفرار فى حيوية اللون ؟

ودار الحديث حول التمثيل والممثلين فقلت : إحرصى يا بنيتى على الانتفاع بعبقرية الأستاذ يوسف وهبى ، فهو أعظم فنان فى هذا الزمان

قال صاحب السيارة : أهذا رأيك فى الأستاذ يوسف وهبى ؟

قلت : هو رأيى

قال : وتسمح بتدوينه فى مجلة الرسالة ؟

قلت : وفى جميع المجلات ، وسأخصك بحديث

قال : أرجوك أن تغفل اسمى ، لأسباب لا أملك عرضها عليك

وصلنا إلى القاهرة لنفترق ، ولأبحث عن الأسباب التى توجب أن اغفل اسم ذلك الصديق ، فما تلك الأسباب ؟

كانت هنالك وليمة عيدية فى « عزبة المصباح » ، وكان فى الوليمة فنانون وفنانات ، وكانت « نور الهدى » فى العودة من نصيب سيارة هذا الرفيق

وعرفت بعد لأْى أن مجلة الرسالة أثيرة عند زوجة صاحب السيارة ، وأنها قد تغضب عليه إن عرفت من حديثى بمجلة الرسالة أنه رأى « نور الهدى » فى يوم عيد

سأكتم اسمك يا صديقى ، لئلا تثور زوجتك ، فلن أقول إنك صاحب جريدة يومية ، ولن أقول إنك كاتب من الطراز الأول ، ولن أقول إنك المثال فى هندمة الأسلوب ، والأساليب تُهنْدَم كما تُهندَم الثياب

إن زوجتك لن تعرِّفك من حديثى ، لأنى أكره النميمة ، فنم بعافية ، وإن ارتابت زوجتك فى بشاشة وجهك فحدثها أنك طوّفت بسيارتك فى شوارع « مصر الجديدة » يوم العيد

إن التلاميذ يخفون عن آبائهم خطابات نظار المدارس ، فأخف عن زوجتك هذا العدد من مجلة الرسالة ، وقل إنه ضاع فى البريد ، بسبب ازدحام الرسائل فى أيام العيد ، أحياكم الله إلى ألف عيد !

زكى مبارك

٤ ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

٣ — يقول النعمان لكسرى :

« ... فأما عزها — يعنى العرب — ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ... »

وهذا قول لا يقوله عامل لعامله ، ولا وال لموليه . وكيف يلغو بمثله وجند كسرى فى بلاده وفى اليمن يجوس خلالها ، والدِّرَفْس[1] يخفق فوق الرؤوس

إنما كان النعمان شُرَطيا[2] عند كسرى يصد المدلنفين والقراضيب عن اجتياز التخوم . كان أمير (الحيرة) لا ملك (الجزيرة) يدعو — آمرا — هذا من اليمن وذاك من نجد وذلك من تهامة وغيرهم من غيرها فيبادرون إليه ، ويمثلون بين يديه ، ويقول : قد سمعت من كسرى كيت وكيت فَفِدوا عليه « فإذا دخلتم نطق كل رجل بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه »

لم يكن النعمان هناك ـ كما زوقه المزوق المنمق . ولما غضب عليه كسرى — والسبب الحق للغضب مجهول — ضاقت عليه الأرض ، ولم ينفعه أو ينجده متزتر من جماعة (الوفد) « وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد منهم يقبله » « وأراد طيئا على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرك لقاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا إلى معاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به » « غير أن بنى رواحة بن قطيعة بن عبس قالو : إن شئت قاتلنا معك ، لمنة كانت له عندهم ، قال ما أحب أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى » ، ثم « أتى هانىء بن مسعود[1] فاستودعه ماله وأهله وألف شكة ، ويقال : أربعة آلاف شكة ، والشكة السلاح كله » وهذا قول أبى الفرج فى الأغانى . والطبرى فى تاريخه يقول : « والمقلل يقول : كانت (٤٠٠) درع ، والمكثر يقول : كانت (٨٠٠) » ومضى إلى سيده كسرى « فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيَّده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه » ، وقيل « بل مات فى ساباط فى حبسه » وقيل « ألقاه تحت أرجل الفيلة حتى مات » ، وقيل « لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنما مات بعد ذلك بحنين قبيل الإسلام » « فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائى على الحيرة وما كان عليه النعمان » قال أبو الفرج : « وغضبت له (أى للنعمان) العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وقعة ذى قار »

والعرب لم تغضب لمصير هذا الأمير المسكين ، ولم يكن قتله سبب تلك الوقعة ، وإنما سببها — إن ثبتت — « أن كسرى بعث إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها فى بكر ابن وائل . فأمر كسرى إياسا أن يضم ما كان للنعمان ، ويبعث به إليه ، فبعث إياس إلى هانىء أن أرسل إلىَّ ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها ، فأبى هانىء أن يسلم خفارته ، فلما منعها غضب كسرى ، وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبى ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى :

يا خير الملوك ، أدلك على غرة بكر ؟

قال : نعم

قال : أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له : (ذو قار) تساقط الفراش فى النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكهم . فترجموا له قوله (تساقطوا تساقط الفراش فى النار) فأقرهم

---

(١) الدرفس : العلم الكبير ، ودرفس حمل العلم الكبير ، نقله الصاغانى عن ابن عباد (التاج) قال البحتري فى سينيته المشهورة التى مطلعها : « صنت نفسى عما يدنس نفسى » :

والمنايا مواثل وأنوشر ــ وان يزجى الصفوف تحت الأرض

(٢) الصواب فى الشرطي سكون الراء نسبة إلى الشرطة والتحريك خطأ لأنه نسب إلى الشرط الذى هو جمع (الأساس)

(١) قال أبو عبيدة : قال بعضهم : لم يدرك هانىء بن مسعود هذا الأمر (الطبري)

(قلت) : فاذا لم يدركه هانىء بن مسعود هذا فليكن هانىء ابن قبيصة ابن هانىء بن مسعود حتى يمشى الخبر

وبعث إلى هانئ وجماعته جنوداً عربيين[1] وجنوداً فارسيين ، وكانت تلك الوقعة ، إن كانت

وقد عزوا إلى رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) هذا القول : « هذا يوم (أو ذلك يوم) انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا . أو اليوم انتصفت العرب من العجم » وهم الأخباريون وغير الأخباريين يصوغون كما يحبون ويشتهون

فى الأغانى : كانت وقعة ذى قار بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله بالمدينة . فلما بلغه ذلك قال : هذا يوم الخ

وهنا شيء يقال : إذا كانت التركة (السابق ذكرها) كما أحصوا (٤٠٠) درع أو (٨٠٠) درع فنحن بين أمرين : إما أن يكون الراوون قد رأوا ما رووا فى المنام ، وكثيراً ما بنيت أشياء بل ديانات على المنامات — وقصة قسطنطين مشهورة — وإما أن يكون كسرى قد جن جنوناً كبيراً حتى يبعث تلك الجيوش وينفق المال الكثير للاستيلاء على حقير .

* * *

قلت من قبل : إن السبب الحق لغضب كسرى على عامله النعمان مجهول ، ولكن صائغاً بارعاً (لله دره) صاغ لنا خبراً طريفاً غريباً فى سبب الغضب ، طرافته وغرابته تدعوان إلى روايته :

« كانت للملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم[2] ، فكانوا يبعثون فى تلك الأرضين بتلك الصفة ، فإذا وُجدت حلت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ، ولا يظنونها عندهم ، ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتب بها إلى النواحى ، ودخل إليه زيد بن عدىّ وهو فى ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنى رأيت الملك قد كتب فى نسوة يُطلبن له وقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ... فابعثنى وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه ... فبعث معه رجلاً جلداً فهماً فخرج به زيد ... حتى بلغ الحيرة ، فلما دخل عليه (على النعمان) ... قال : إنه (يعنى الملك) قد

(١) يراجع (يوم ذى قار) فى العقد ، وهو فى آخر أيام العرب ووقائعها فيه

(٢) أنو شروان أمر بإثبات هذه الصفة فى دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . (الأغانى ، الطبرى)

احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك فقال : ما هؤلاء النسوة ؟

فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها ...

[معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء قرّاء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء ، أسيلة الخد ، شهية المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء[1] ، عريضة الصدر ، كاعب الثدى ، ضخمة مُشاش المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، ضامرة البطن ، خميصة الخصر ، غرثى الوشاح ، رداح الأقبال[2] ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة المأكمتين ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشى ، مكسال الضحى ، بضة المتجرد سموعاً للسيد ، ليست بخنساء ولا سفعاء ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغذ فى بؤس ، حيية رزينة ، حليمة ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور فى الأدب ، فرأيها رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفين ، قطيع اللسان[1] رهوة الصوت ساكنته ، تزين الولى ، وتشين العدو ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تحملق عيناها ، وتحمر وجنتاها ، وتذبذبُ شفتاها ، وتبادرك الوثبة إذا قمت ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست]

... فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : أما فى مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟

فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟

فقال له بالفارسية : « كاوان » أى البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به . ثم كتب « النعمان » إلى كسرى :

(١) طويلة العنق

(٢) فى الطبرى : القبل

(٣) فلان قطيع اللسان : خلاف سليطه وقطيع الكلام (الأساس) وفى التاج : (امرأة قطيع الكلام إذا كانت غير سليطة) وروى الأساس : قطيع القيام قطيع الكلام تفتر من ذى غروب خصر والرواية فى الأغانى والطبرى قطيعة . وقد أشار محققو الطبعة الأخيرة للأغانى إلى ذلك ، وذكروا قول اللسان والقاموس ، ويؤيد البيت فقدان الهاء

٥ ـ نشأة المسرح الانجليزى

[معلومات طريفة كثيرة عن نشأة هذا المسرح]

للأســتاذ دريني خشبة

أشرنا فى الفصل الأول من هذه الفصول عن نشأة الدرامة الإنجليزية إلى المسرح المتحرك (المتنقل) أو ال Pageant ونتكلم فى هذا الفصل عن نشأة الفرق التمثيلية ، ثم عن المسارح البدائية وأول ما عرفت انجلترا منها . وقد قدمنا أن رجال الكنيسة هم الذين اضطلعوا أول الأمر بتمثيل الروايات الإنجيلية والدرامات القديسية ، وأنهم أصحاب الفضل فى تربية الذوق المسرحى وطبعه فى وعى الجماهير حتى انتقل زمام التمثيل من أيديهم إلى أيدى رجال النقابات ، وما قامت به تلك النقابات من مجهود مشكور فى تشجيع المؤلفين والممثلين المحترفين ، ثم نوهنا بما كان لرجال البلاط الإنجليزى والأمراء والنبلاء وأعيان البلاد من فضل فى الأخذ بيد هذا الفن الناشىء ومد رجاله بما يفتقرون إليه من المال الذى لا ينجح مشروع بدونه . ولقد نشأ الاحتراف فى المسرح الإنجليزى من ناحيتين ، الأولى هى ناحية صبيان الكنائس الذين كان يتألف منهم الخورس أو المنشدون The Choristers — وقد عنى بتدريب هؤلاء الصبيان على التمثيل منذ نعومة أظفارهم لكى يتفرغوا لأداء الأدوار التمثيلية فى مختلف الروايات خصوصاً بعد أن أصبح إقبال الجماهير على مشاهدة التمثيل إقبالاً رائعاً ، وما حدث نتيجة لهذا الإقبال من استغلال التمثيل استغلالاً اقتصادياً كانت أول موارده تلك المزادات التى أشرنا إليها سالفاً ، والتى كانت تدر على النقابات الأرباح الطائلة . من هنا رؤى انقطاع هؤلاء الصبيان لهذه الحرفة الجديدة التى جمعت بين شرف العمل وشرف الكسب مع صلتها المتينة بالأدب الإنجليزى الذى كان وما زال نوط العزة على صدر كل أديب فى انجلترا . أما الناحية الثانية التى نشأ عنها الاحتراف فهى تلك النقابات التى تكلمنا عنها آنفاً . هذا ، وقد تألفت بعد ذلك جماعات من أولئك المحترفين كانت باكورة « الفرق التمثيلية » فى انجلترا ، وكانت كل جماعة تتمتع برعاية أحد النبلاء حتى لا تقع تحت طائلة قانون « المتشردين ! » وذلك لكثرة تنقلهم في البلاد ، وتنقلهم من قرية إلى أخرى ، ولأن الحكومة الإنجليزية لم تكن قد اعترفت بعد اعترافاً رسمياً بهذه الحرفة الجديدة ، فكان أفراد الفرقة من هذه الفرق يجيئون ويروحون تحت اسم : « خدم فلان من اللوردات أو الدوقات أو رجال البلاط ! » حتى يكونوا بنجوة من مماكسات رجال الإدارة (!) ومشاكساتهم ، فهذه فرقة « خدم الأرل أوف ليستر » ، وتلك فرقة « خدم البلاط الملكى » ، وهذه فرقة « خدم دوق أوف سومرست » ، وهكذا . . . والحقيقة أنه لم تكن ثمة أية علاقة بين هذا الدوق أو ذاك الأرل ، وبين الفرقة التى انتحلت لنفسها رعايته انتحالا . ولقد كان المسرح الأول الذى تؤدى فيه الدرامة ، هو إما بهو من أبهاء البلاط وإما رواق من أروقة قصور الأمراء أو النبلاء أو عظماء الشعب ، فإن لم يوجد هذا أو ذاك ففى بهو من أبهاء الفنادق ، أو فى أحد أروقة جامعتى

إن الذى طلب الملك ليس عندى ... فلما رجعا إلى كسرى . . .
قال للرسول : وما قال ؟

فقال الرسول : أيها الملك ، إنه قال : أما كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعُرف الغضب فى وجهه ، ووقع فى قلبه منه ما وقع ؛ لكنه لم يزد على أن قال : رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبل ، فإن للملك حاجة إليك . فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبلى طيء . . . »

وقد روى ما نقلنا مختصرين أبو الفرج فى « أغانيه » فى أخبار عدى بن زيد ، ورواه ابن جرير الطبرى فى « تاريخ الأمم والملوك » خبراً تاريخياً لا ريب عنده فيه . وهـذه الأسطورة النعمانية مثل الأسطورة البراقية ، أحدوثة أخت البراق القائلة أو المقوّلة : « ليت للبراق عيناً فترى » القصيدة المثيرة المشهورة

(يتبع)

أوكسفورد وكبردج . على أن أبهاء الفنادق كانت أحفل الجميع بالتمثيل المنتظم المستديم - في جميع أيام الأعياد بالطبع - لأنها لم تكن أبنية خاصة كقصور الملوك أو الأمراء مثلاً ، ولذا كانت أقرب إلى الارتياد الحر وأيسر على أفراد الشعب من غيرها . وكانت فنادق المدينة تبنى كلها في موضع واحد منها حول ميدان ، أو ساحة كبيرة تنتظر فيها العربات والدواب ، وما إلى ذلك من وسائل النقل والحمل ؛ فكانت شرفة terrasse الفندق الأوسط تستعمل مسرحاً ، ويقف النظارة من أفراد الشعب في الساحة أو الباحة أو الميدان . أما السَّفْر من نزَّال الفنادق فكانوا أسعد حالاً ؛ إذ كانوا يجلسون في عظمة وإدلال وأبهة في شرفات غرفهم فوق الأرائك والكراسي الفخمة ، حيث يطوف عليهم الخدم بالأطايب والأشربات . ولم تكن المناظر المسرحية قد عرفت بعد ، بل كانت تحل محلها «سبورة» ! يكتب عليها بالخط الكبير اسم المنظر الذي يجب أن يتوهمه النظارة توهما ، فيكتب مثلاً : « هـذه قلعة جلوم ! » أو « هنا غابة آردن ! » وهكذا ...

أما كيف أنشىء المسرح الأول فلذلك سبب عجيب مضحك في آن معاً . . . ويجب قبل إيراده الرجوع قليلاً إلى التاريخ الاجتماعي لانجلترا ، وإلى هذه العصور التي كانت «مسز جراندي!» رمز الحفاظ والتمسك بأهداب التقاليد والآداب الرعية تتحكم في المجتمع البريطاني تحكما جباراً لا يسهل الفكاك منه ... ويجب كذلك أن نذكر ذلك الروح الطهري Puritanism الذي كان يسود الحياة في المدن الإنجليزية عامة ، ولندن - أم القرى ! - على وجه الخصوص ... ذلك الروح المتزمت الرجعي الذي كان يضيف التمثيل إلى شعبذات المهرجين ومساخر الحواة وأكلة الثعابين ومروضي الوحوش ومراقصي الدببة والقرود ومصارعي الثيران ، ومن إلى هؤلاء جميعاً من سائر البهاليل (!!) . . . هذا الروح الطهري هو الذي دفع محافظ لندن إلى محاربة التمثيل والممثلين بالقوانين . . . فأصدر تشريعاً صارما يحظر على رجال النقابات والفرق التمثيلية غشيان أبهاء الفنادق إلا بتصريح خاص — وقلما كانوا يحصلون منه على هذا التصريح — كما حظر عليهم التمثيل في الميادين والطرقات العامة أو المتنزهات التي ما جعلت في زعمه إلا للراحة والترفيه عن الشعب اللاغب المتعب من عناء العمل ؛ وكذلك حظر عليهم التمثيل مطلقاً أيام الآحاد . . . ولم يشأ رجال الفرق أن يشاغبوا جبروت هذا التشريع التعسفي ، بل آثروا السلامة ، وانتقلوا بقضهم وقضيضهم إلى الضفة الجنوبية من نهر التيمس ، حيث لا سلطان لهذا المحافظ الجاهل ولا لتشريعه الخانق عليهم . وهناك استأجر جيمس[1] ربيدج Burbage قطعة من الأرض في بلاك فرايرز Blackfriars لمدة إحدى وعشرين سنة وأقام عليها (تركيبة !) من الخشب سنة ١٥٧٦ أطلق عليها اسم (التياترو) The Theatre فكان هذا أول المسارح الإنجليزية التي مهدت لأعظم مسارح العالم

ثم أنشئ قريباً من هذا المسرح فيما بعد مسرح الكرتين (الستار Curtain) الذي اشتغل به الشاعر الكبير بن جونسون ممثلاً بسيطاً في صدر شبابه . ولم يكن الكرتين يتمتع بالسمعة الطيبة التي كان يتمتع بها المسرح الآخر ، بل كانت العلية تصد عنه وتعتبر الذهاب إليه نقيصة أدبية ... والظاهر أنه لم يكن يعرض إلا الدرامات الثانوية « روايات الدرجة الثالثة ! » ، وذلك بالرغم من أنه أخرج درامة شيكسبير الخالدة « روميو وجوليت » سنة ١٥٩٦ . وكانت أجرة الدخول في هذا المسرح بنساً واحداً يضاف إليه بنس آخر لمن أراد كرسياً في الأبهاء أو فوق المسرح

ومن المسارح الأخرى التي أقيمت بعد هذين المسرحين الروز « الوردة » والسُّوان « البجعة » ، وقريباً من السُّوان كان يوجد ملعب البير جاردن The Bear Garden حيث كان الناس يستمتعون بمشاهدة مروضي الوحوش ، وتقاتل هذه الوحوش نفسها ضد بعضها ... أما مسرح السُّوان فكان يمتاز من مسرح الجلوب المظيم « الذي سيلي وصفه » بما كان فيه من مسرح إضافي لتمثيل الروايات التي من طراز « هملت » ، وحجرة نوم للروايات التي من طراز عطيل حيث تنام ديدمونه ، وكان به شرفة لتمثيل روميو وجوليت ، كما استعملت فيه الستار لأول مرة لقسمة المسرح وذلك لتبديل المناظر . وكان يحتوى

(١) والد ريتشارد بربيدج أحد ممثلي شيكسبير فيما بعد وأحسن ممثلي هملت ولير وعطيل

غرفة للمثلين خاصة تتصل بالخشبة بباب فلا يراهم النظارة حين ينتهون من أداء أدوارهم — ومن الظريف أن حجرة الممثلين هذه كانت بأعلى التياترو ! ، وكان لها سلم لولبى لكي لا يشغل حيزاً كبيراً ، كما كانت إلى جانبها حجرة المؤذنين الذين يدقون الطبول إيذاناً ببدء التمثيل . وكان السُّوان كبيراً جداً بحيث يتسع لثلاثة آلاف من المتفرجين !

ونعود إلى المسرح الأول ـ التياترو The Theatre فنذكر أنه لما رفض صاحب الأرض تجديد عقد الإيجار ، اضطر بربيدج إلى فك أخشاب مسرحه ونقلها مع جميع أدواته الأخرى إلى الشاطئ الآخر من النهر ، في سوثوارك Southwak ، حيث أنشأ مسرح الجلوب العظيم The Globe سنة ١٥٩٨[1] — وكان عمر شيكسبير إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة بينما كان عمره عند إنشاء المسرح الأول اثنتي عشرة سنة فقط

أما هذا المسرح الثانى (الجلوب) ، فقد كان من خارجه سداسى الأضلاع ، أما من الداخل فكان مستديراً ، ولم يكن مسقوفاً إلا من فوق أبهائه التي كانت تذكر بأبهاء الفنادق ، وكانت هذه مغطاة بنوع من القش المعروف عندنا بالسمار ، وهو الذى تصنع منه الحصر ؛ أما البت — أى خشبة المسرح ، فقد كان موضعها فى الوسط على ارتفاع أربعة أقدام ، ولم تكن حولها مقاعد للنظارة الذين كان شيكسبير يسميهم Groundlings وكان عليهم أن يقفوا طول وقت التمثيل — أما نظارة الأبهاء « البناوير والألواج » فقد كانت لهم مقاعد خشبية ، كما كانت توجد مثل هذه المقاعد أيضاً فوق خشبة المسرح نفسها ، وكان فرق ما بين الواقفين والجالسين هو أن يدفع هؤلاء ستة بنسات أكثر على أن يسمح لهم بشرب الجعة « البيرة » والتدخين بالغلايين . وكانت هذه الطبقة المنتفخة الممتازة تسمى طبقة ال Gallants . وكان منها عدد من الشباب الظريف المثقف يجلس هناك مجلس الصحافى المسرحى ، لينقد المناظر والإخراج وأداء الممثلين فى فترات الاستراحة بين الفصول . وكان التمثيل يبدأ عادة حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكانت تسبقه ثلاث دقات تنبيهية بالطبلة النحاسية « الترمبيته » وكانت البرامج تطبع بالمداد الأحمر إذا كانت التمثيلية مأساة ، وإلا فبالمداد العادى . ولم تكن هناك أية مناظر فى أول الأمر . ولم تكن ثمة أية عناية بالتوزيع الضوئى . وكانت السبورة أو لوحة الإعلانات Placard تقوم مقام المناظر بكتابة أسمائها عليها كما ذكرنا . ولشارلز لامب فى ذلك تسجيل أدبى رائع من شعره الظريف . وكانت الأدوار النسائية تسند إلى ولدان من ذوى الجمال فى الجسم والوجه والصوت . وكان لكل فرقة بُهلول « بلياتشو ! » يشمبذ فى فترات الراحة بين الفصول ، فكان أحياناً يغنى أو يُشهِّر ببعض الشخصيات التى يثير التشهير بها كثيراً من الضحك بين النظارة ، كما كان يعلق بأسلوب فكه على أهم حوادث اليوم . فإذا انتهى الممثلون من آخر فصول الدرامة اجتمع كل أفراد الفرقة فى ركن من أركان المسرح ، ثم ركعوا تحية للملك والملكة ، وهو ما يشبه السلام الملكى اليوم ...

هذا ، وقد بُدىء باستعمال المناظر المتحركة بعد النهضة الأصلاحية ، وكان الفضل فى استعمالها للسير وليم دافننات Davenant ، وكذلك حل النساء محل الولدان فى تمثيل الأدوار النسائية سنة ١٦٦١ . ذاك وقد كان لكل مسرح من المسارح الإنجليزية علامة مسجلة ؛ فعلامة الجلوب صورة للبطل اليونانى الخرافى الجبار هرقل حاملاً بيديه المريدتين كرة أرضية ، وكان على مقربة من الجلوب مسرح البلاك فرايرز ، وكان شيكسبير يؤلف دراماته لهذين المسرحين خاصة ، كما كان يساهم فى التمثيل وفى الأرباح على السواء . وقد كان الجلوب هو المسرح الصيفى ، أما الآخر فكان مسرح لندن الشتوى المتيد ، وبذلك امتاز عن الجلوب الذى كانت المسارح الأخرى تنافسه منافسة شديدة ، ولا سيما مسرح الفورشون « الحظ » الذى أُنشىء سنة ١٥٩٩ لمنافسة شيكسبير . وكانت كل هذه المسارح الصيفية ما عدا الفورشون قائمة وسط مستنقعات كبيرة ، وكان المتفرجون يصلون إليها فوق جسر طويل . وقد حدث فى سنة ١٦١٣ أن شب حريق كبير التهم المسرح العتيد كله ، ولم يلبث صاحبه أن جدده فى السنة التالية . وقد انتهز الفرصة فاستبدل بالخشب الملاط ، وبقش السمار الإردواز ، واصطنع خشبة

(١) خالف تشارلز هيسلنجز كل الروايات فذكر أنه أنشئ سنة ١٥٩٣

المسرح من ألواح السنديان ، كما خص الممثلين بغرفة كبيرة خلفية يستجمون فيها ، وزاد في عدد الأبهاء « البناوير » بجعلها ثلاثة صفوف بدل صف واحد . وقد كلفه المسرح الجديد ثمانين وثمانمائة من الجنيهات قيمتها الآن ثمانية آلاف . ذلك وقد كثر عدد المسارح في أواخر عهد الملكة اليزابث داخل لندن نفسها ، فكان ثمة مسرح الكوك بت أو الفونكس ومسرح الردبول Red Bull ... الخ . وقد أحصيت هذه المسارح فكانت أحد عشر مسرحاً . على أن المنافسة الشديدة الحق كانت بين اثنين منها فقط ، وهما : الجلوب وكان تحت رعاية اللورد تشمبرلن ، والفورشون وكان تحت رعاية اللورد أدميرال ؛ وكانا كلاهما يتمتعان برعاية الملك المباشرة . وكان من هذه المسارح ما هو خاص وما هو عام . وكانت الهيئة التي تشرف على المسارح الخاصة ، مثل الكوك بت والسالسبري والبلاك فرايرز ، هيئة منتقاة يراعى في اختيارها شرائط لا داعي لذكرها هنا . وكانت المسارح الخاصة على العموم أصغر بكثير من المسارح العامة كالجلوب والفورشون والرد بول ، كما كانت مسقوفة دائماً ليستمر التمثيل فيها طول العام ، بعكس المسارح العامة التي كانت مكشوفة الوسط لاتساعها ، ولم يكن يستمر التمثيل بها غير أشهر الصيف ، من ثلاثة أشهر إلى خمسة . أما في الشتاء ، وهو سبعة أشهر تقريباً ، فقد كان الضباب الكثيف يحول دون التمثيل فيها ، خصوصاً والمشاعل لم تكن قد استعملت بعد . وقد اقتبست المسارح الإنجليزية في أوائل القرن السابع عشر وسائل المسرح الفرنسي الآلي في إخراج المناظر المختلفة . وكانت وسائل فجة غير رائعة ، وكانت تستعمل في إبراز الغابات أو القصور أو المدن ، كما أخذت عن المسرح اليوناني القديم طريقة الستار الأسود في أقصى المسرح إذا كانت التمثيلية مأساة . . . على أن هذا النقص في الإخراج كانت تستره مكتبة المسرح ، إذ كان لكل مسرح مكتبة محترمة تتألف من أصول الدرامات التي يقوم بعرضها ، ثم من مئات من أمهات الكتب التاريخية والمسرحية والأدبية ، ولم تكن المكتبة حبساً على الممثلين ، بل كان الشعب ينال منها نصيباً لا بأس به من الاطلاع . وقد تضاعفت هذه المكتبات بعد نشاط الطباعة وتقدم وسائلها الحديثة ، وصار المؤلفون المسرحيون يعنون بطبع دراماتهم والوقوف على طبعها بأنفسهم . ولم يكن أحسن مسارح لندن يشترى من أحسن هؤلاء المؤلفين حق تمثيل إحدى دراماته بأكثر من ثمانية جنيهات (تساوى الآن ثمانين !) ، وكان أصحاب الفرق يستغلون المؤلفين استغلالاً دنيئاً ، فكان المؤلف الفقير يقترض من مدير إحدى الفرق مبالغ تافهة على أن يقدم بها درامة أو درامتين ، فإن عجز عن السداد دخل الربا بين الطرفين ، وظل المؤلف مستعبداً إلى الأبد . على أن عدداً قليلاً من المؤلفين استطاع أن يقف من هؤلاء المديرين موقفاً حازماً ، إذ استطاعوا أن تكون لهم حصتهم في ميزانية المسرح ، وعلى رأس هؤلاء مارلو وبن جونسون وشيكسبير

وكان النساء محرومات من غشيان المسارح بادىء الأمر ، فلما خفت وطأة المسز جراندى ، أخذن في الاختلاف إليه حتى أصبحن عنصراً هاماً فيه ... ممثلات ونظارة !

« يتبع » دريني خشبة

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد ١٠٠ قرش ،
و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات :
الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد .

المشكلات

٧ ـ اللغـــة العربية

للأســتاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد استغللنا ما استنبطناه من علم يتعلق بتعليم اللغة فى تعليم اللغة العربية وفى تعليم اللغة الإنكليزية وفى تعليم اللغة الفرنسية وأصبح فى استطاعتنا أن نتقى الأخفاق فى تعليم اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وأن نتقى هذا الرسوب الذى يمنى به تلاميذنا فى آخر كل عام دراسى فى هاتين اللغتين والذى يبلغ فى بعض السنين ٧٨٪ ووهبنا للتلاميذ أعماراً بقدر الأعوام التى وقيناهم فيها الرسوب والتى كانوا يرسبون فيها لو لا أخذهم بهذا المنهج الجديد ، ونفينا عنهم وعن أهليهم ذلك الحزن الذى كان يستولى عليهم فى آخر كل عام دراسى بهذا الرسوب . ووفرنا على أهليهم تلك الأموال التى كانوا ينفقونها فى إعادة الأعوام التى رسبوا فيها . ومن ذلك يعلم أن الباب الواحد من العلم إذا استغله أهلوه كان عظيم البركة جليل النفع ، وربما كان أجدى على الأمة والأفراد من كثير من الخيرات المادية

ولسنا نستغل هذا الباب من العلم فى تعليم اللغات فحسب بل سنستغله فى كثير من مشكلاتنا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية فيرى كيف يعظم نفعه ، وتجل بركته ، وكيف يجلب من الخير ما لا يدركه الوهم ، ولا يحصيه العد

وهذا وأمثاله هو الذى جعلنى أومن بالعلم وأعظمه وأجله ، وأرى أنه ما من خير للأفراد والأمم إلا وهو مصدره ، وما من شر يصيب الأفراد والأمم إلا وللجهل يد فيه ظهرت أو خفيت

* * *

لعل قائلاً يقول : إنك آمنت بالملكة فى كسب اللغة العربية إيماناً لا تزعزعه الشكوك ، وظننت أنها تفيد فى كسب العربية كما تفيد فى كسب اللغة الإنجليزية والفرنسية ، ولم تفطن إلى ما بين اللغة العربية وسائر اللغات من فارق

إن اللغة العربية كثيرة الأحكام ، متشعبة الفروع ، فلا تستقل الملكة بضبط هذه الأحكام الكثيرة ، ولا يضبطها إلا العلم المفصل بالقواعد والقوانين ، وسأضرب مثلاً (لا) العاملة عمل إن ، فإن شرط عملها هذا العمل :

١ — أن تكون نافية
٢ — وأن يكون المنفى الجنس
٣ — أن يكون نفيه نصاً
٤ — ألا يدخل عليها جار
٥ — أن يكون اسمها نكرة
٦ — أن يكون متصلاً بها
٧ — أن يكون خبرها نكرة ـ فإن كانت غير نافية رفع ما بعدها ، وإن كانت لنفى الوحدة عملت عمل ليس نحو لا رجل قائماً بل رجلان ، وإن دخل عليها الخافض خفض ما بعدها نحو جئت بلا زاد ، وإن كان الاسم معرفة أو منفصلاً منها أهملت نحو لا الدار دار ولا الجيران جيران ، ونحو لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون

هذه أحكام كثيرة ولا يسعف بها إلا معرفة القواعد ، فأما الملكة فلا تستطيع الاهتداء إلى هذه التفاصيل

ونحن نقول لهذا القائل إنك أسأت الظن إذ ظننت أن الملكة لا تهتدى إلى الفروق الخفية والمداخل المتشعبة ، إنها أهدى من القطا ، وإن الإنسان يطمئن إليها فى الهداية إلى ما يشتجر من الأحكام . إنها تهدى المرء إلى الصواب الجارى على القواعد وإن لم يعرف القواعد . أنظر إلى الهمزات فى علم الرسم كيف يكتب المرء يئد على ياء ، ويأمن على ألف ، ويؤمن على واو ، تهديه ملكته التى اكتسبها بالمرانة والتكرار وإن لم يعلم القاعدة أو لم يستحضرها

وكذلك الألفات ما يكتب منها ألفاً وما يكتب منها ياء ، فيكتب المرء رمى بالياء ودعا بالألف كأن فى منطقة اللاشعور فينا عالماً يعلم أن رمى أصلها الياء فتكتب ياء ، ودعا أصلها الواو فتكتب ألفاً ، ويكتب أغزى بالياء كأن عالماً فينا يعلم أنها وإن كان أصلها الواو إلا أنه لما قيل فيها أغزيته كتبت ياء

يعجب المرء كيف تهدى الملكة إلى الحق كأنما تستملى

من قواعد مكتوبة ، وتمتاز الملكة عن القواعد بالسرعة التي لا يبلغها الرجوع إلى القواعد . ولقد بلغ من اهتداء الملكة أنها تكتب المطرد على حسب القاعدة ، والشاذ على ما قيل من شذوذ، فهي تكتب داود بواو واحدة ، وتكتب بعمرو بواو بعدها ، وتكتب مائة بألف زائدة وإن لم تكن في هجائها

فإذا كانت هداية الملكة ما ذكرنا في الكتابة فلا عجب أن تهدي مثل هذه الهداية في الكلام

قال أبو الفتح عثمان بن جني م ٣٩٢ في كتابه الخصائص : سألت الشجري يوما فقلت له : يا أبا عبد الله ! كيف تقول : ضربت أخاك ، فقال : كذاك . فقلت أفتقول ضربت أخوك ؟ قال لا أقول أخوك أبداً . قلت : فكيف تقول ضربني أخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً ؟ فقال : إيش ذا ؟ اختلفت جهتا الكلام . نقل أبو الفتح هذه الحكاية في باب عنوانه أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها . واستدل بها على أن العرب كانت تعرف قواعد النحو والصرف ، ورأى أن ما قاله الأعرابي نظير قول النحاة : صار المفعول فاعلاً

وليس ما ذهب إليه ابن جني من الاستنتاج صحيحاً ، فهذا العربي لم يكن يرجع إلى قواعد ، وإنما كان يرجع إلى ملكته يستشيرها ويستهديها فنبت ملكته عن ضربت أخوك ، ولم تنب عن ضربني أخوك ، كما تنبو ملكة الكاتب عن كتابة الهمزة في يشد بالواو وفي يؤمن بالياء ، وإن لم يعرف القاعدة ولم يستشرها

لعلنا بذلك قد طمأنا الذين يشفقون على اللغة من أن يكلوها إلى الملكة ، ويرون أن الملكة لا تكفي هادية ، لأن مذاهب العربية مختلطة متشعبة قريب بعضها من بعض ، لا يفرق بينها إلا العقل الواعي والعلم البصير . وقدمنا من الأدلة ما يدل على أنهم إذا وكلوها إلى الملكة فقد وكلوها إلى حفيظ أمين

فليتأمل هؤلاء الذين يصدون — أو سيصدون — عن طريقتنا فيما نحاول ، أننا نحاول كسباً جديداً للغة العربية ، فبدل أن تقتصر على علم قواعدها تكون لنا ملكة وهيئة راسخة من هيئات نفوسنا وجزءاً من كياننا ، وتكون هذه الملكة دعامة لفهم اللغة وتذوقها ، ولفهم قواعدها وأصولها دون جهد أو عناء

ليعلم هؤلاء الذين يحبون النحو والصرف وقواعد البلاغة ، أننا نحب النحو والصرف وقواعد البلاغة أكثر منهم حين ندعو إلى تعليم اللغة بأسلوب يكون ملكة اللغة في نفوس المتعلمين ، لأننا نريد أن نجعل قواعد النحو والصرف والبلاغة فوق العلم بها ملكات لنا مختلطة بلحومنا ودمائنا غائصة في أعماق نفوسنا وداخلة في منطقة اللاشعور فينا

لقد ظفرت اللغة العامية مع عدم الاحتفال بها والعناية بتعلمها بأن صارت ملكة في النفوس ، فغلبت اللغة العربية التي لم تظفر بذلك إلى الآن ، وكانت لغة البيت والشارع والمدرسة ولغة الدرس والخطاب ولغة الأغاني والمسرح والخيالة ، وليس للغة العربية حظ في شيء من ذلك إلا أنها لغة الكتابة . والذين يكتبون بها قليل ، وهذا القليل لم يكتسب الكتابة من القواعد وتعلمها ، إنما اكتسبها من طريق الحفظ والقراءة وتذوق الكثير من بليغ المنثور والمنظوم ومن مزاولة الكتابة والكلام بها ، حتى اكتسب نماذج ذهنية في نفسه ومناطق اللاشعور فيه ، يتكلم على مقتضاها ، وينسج على منوالها ، فلم لا نسعى لرفع اللغة العربية من مجالها الضيق المحدود إلى المجال الواسع غير المحدود ؟

لم نتركها خافتة ضئيلة النفوذ محدودة السلطان بعيدة عن الجماهير وعن كثير من الخاصة لا تعرفهم ولا يعرفونها مقصورة على طبقة قليلة من خاصة الناس ؟

إنما أريد بما أعرض من هذا التوجيه الجديد أن تنقذ اللغة العربية من سيطرة العامية وأن نوسع دائرة نفوذها في شؤون الحياة

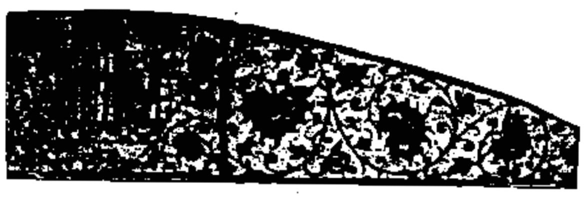
يا سبحان الله ! أيعلم كل صانع في الدنيا أنه لا يحذق المتعلم صنعته إلا بالمرانة والتكرار ، فلا يكتفوا بإلقاء القواعد للمتعلمين وحفظها بل يأخذوهم بالدربة والمرانة على أعمال صنعتهم الجارية على حدود قواعدها ، حتى يحذقوا صناعتهم ، ولا يعلم ذلك رجال العلم في بلاد الشرق منذ آماد طويلة ، فاكتفوا في تعليم اللغة بدراسة قواعدها ورأوا تلك السبيل المثلى في تعلمها ، وأنها تفيد الطالب الناشىء ، وتجعله قادراً على التعبير بها في صحة وإتقان ! ومن عجب أن إخفاق القرون في هذه السبيل لم يصرفهم عنها ليبحثوا عن منهج أسد ، وطريق أقوم .

محمد عرفة

٤ ـ الاسلام والفنون الجميلة

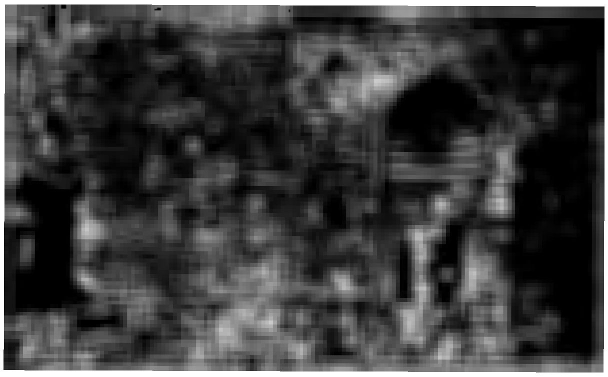
للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد دفع الإسلام بمعتنقيه إلى العناية بفن العمارة بطريق غير مباشر ، إذ وصف الله فى كتابه العزيز جنات النعيم التى أعدها للمتقين من عباده وصفاً شيقاً لعله كان مبعث الوحى للمسلمين فيما شيدوه من عمائر : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نعم أجر العاملين) ، (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ...) . فما كادوا يفتحون الأمصار ويرون ما بها من آثار حتى أقبلوا على البناء فأقاموا قصوراً شاهقة ، رشيقة التكوين ، موزونة الأبعاد ، منمقة الجدران ، ضاع معظمها ، ونفضت معاول علماء الآثار الأكفان عن بعضها ، وأفلت منها من يد الدهر ذلك القصر العظيم الذى شيده بنو الأحمر فى الأندلس ، وهو بغرفه الفسيحة الرائعة ، وقبابه الرشيقة العالية ، ومياهه الرائقة الجارية ، وجناته ذات القطوف الدانية ، خير شاهد على ما تقدم



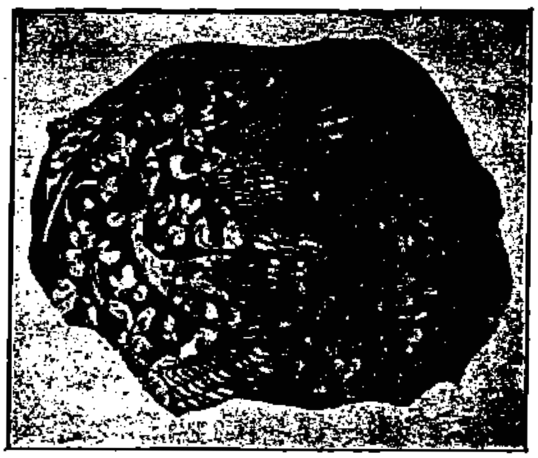
تربيعات من الخزف كانت تزين باب سبيل من عهد السلطان قايتباى — نقلا من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

وما كان للمسلمين وقد سكنوا تلك القصور الرائعة ليقفوا بمساجدهم عند حد البساطة التى كانت عليها فى أيام الإسلام الأولى ، بل تذكروا قول الله عز وجل : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) . فأقبلوا على المساجد يشيدونها ويزخرفونها إجلالاً لها وتعظيما لقدرها ، وبعداً بها عن مواطن الاستهانة إذا ما قورنت ببيوتهم أو بمعابد اليهود وكنائس المسيحيين . ولبس مسجد المدينة على يد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان حلة فخمة خلعت عليها يدٌ صناع الحسن والبهاء ،



واجهة الجامع الأقمر بالقاهرة — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

وأقبل عمر بن عبد العزيز على تزيينه وتحسينه ، وكذلك فعل خلفاء المسلمين من بعدهما ، وكذلك فعل الأمراء والأغنياء فى كافة العالم الإسلامى ، إذ رصعوا جوانبه بمساجد هى آية من آيات الجمال الفنى



جزء من وعاء من الخزف — من رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الهوارى

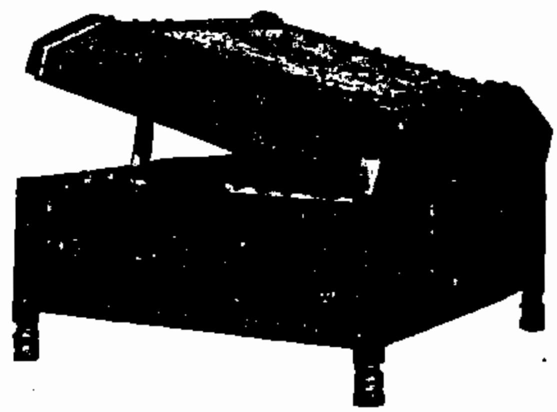
ولقد كان من أثر ذلك أن سار المسلمون بفن العمارة إلى الأمام خطوات واسعة ، ويكفى أن نذكر فضلهم على العالم أجمع فى تحسين القبة — ذلك العنصر المعمارى الذى يعتبر من المميزات

البارزة فى العمارة الإسلامية — فلقد ورث المسلمون القبة عن الأمم السابقة عليهم من مصريين وعراقيين ورومان ، ورثوها صغيرة ساذجة بسيطة محدودة الاستعمال ، وردوها إلى العالم كبيرة معقدة جميلة ، وارتقوا بها فى مدارج الرقى ، وتجلت فى إنشائها براعة بنائهم ، وحذق مهندسيهم ومهارة فنانيهم ، وأكثروا من استعمالها حتى لقد أصبحت من سمات العمارة الإسلامية .

* * *

رأينا إذن كيف أثر الدين الإسلامى ببعض توجيهاته الإيجابية فى فنون الخط والزخرفة والعمارة ، وننظر الآن فيما كان لبعض التوجيهات السلبية لهذا الدين من تأثير جلى فى الفنون الجميلة ، فنلمس أثر هذه التوجيهات واضحاً فيما نجم عن تحريم الربا ، وعن كراهية التصوير ، وعن الطريقة التى نظم بها الإسلام استعمال الذهب والفضة والحرير

وليس هنالك من شك فى أن تحريم الربا لم يكن له فى صميم الفن أثر مباشر ؛ ولكنه عاون على تقدمه ونضوجه وازدهاره وانتشاره . ذلك لأن هذا التحريم الذى جاء صريحاً فى القرآن



صندوق مصحف من خشب مصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب — من تربة السلطان الغورى بالقاهرة — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية لهرتس بك

« يمحق الله الربا . . . » قد دفع بالمسلمين إلى استخدام الفائض من أموالهم فى توفير وسائل الترف المباح فى حياتهم . ولقد فصلت كتب الأدب والتاريخ حياة البذخ التى كان يحياها الخلفاء والأمراء . ولا يتسع المجال هنا لتفصيل ذلك ، إنما يكفى أن نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بذخ العباسيين فى بغداد و « سر من رأى » ، وبذخ الطولونيين فى مصر ، والفاطميين فى القاهرة ، وبذخ الأمويين فى قرطبة والزهراء . ولهذا البذخ أبعد الأثر فى تقدم الفنون الجميلة ، فالإقبال على اقتناء التحف والسخاء العظيم فى بذل الثمن لها بعث فى الفنانين والصناع روح



كرسى من النحاس الأصفر من مارستان قلاوون — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

المنافسة فأخذوا يتبارون فى إتقان مصنوعاتهم ويغالون فى زخرفتها وتجميلها . ومتاحف الفن الإسلامى فى مصر وأوروبا وأمريكا غنية بالكثير من هذه التحف التى هى لسان صدق لما بلغه أجدادنا من المسلمين من رقى الفن وسمو الذوق .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

منهج البحث الاجتماعى

للأســـتاذ إميل دوركايم

يقترن اسم إميل دوركايم Emile Durkheim بعلم الاجتماع؛ فهو الذى أخرجه فى صورته الجديدة التى هو عليها الآن، وجعل منه علماً مستقلاً له منهج مستقل لا يعتمد على العلوم الأخرى، بعد أن كان العلماء يعتمدون فى تفسيرهم للظاهرات الاجتماعية على أحد منهجين: إما المنهج البيولوجى الذى وضعه هربرت سبنسر فى انجلترا، وهو ينظر إلى المجتمع على أنه كائن حيوى يمكن تفسير ظاهراته تفسيراً حيوياً يعتمد على علم الحياة وعلم وظائف الأعضاء؛ وإما المنهج السيكولوجى، ومن أكبر أنصاره تارد Tarde الفرنسى الذى يفسر المجتمع بغريزة التقليد. أما دوركايم فقد جعل علم الاجتماع موضوعاً قائماً بذاته لا يعتمد فى تفسير ظاهرات المجتمع على غير هذه الظاهرات نفسها، لجعله بذلك علماً فى مصاف العلوم الأخرى من جهة الموضوع والمنهج؛ وقد كتب دوركايم كتابه الشهير «قواعد المنهج الاجتماعى Les Règles de méthode sociologique» يبين فيه طبيعة العلم والمنهج الذى يجب اتباعه فى دراسته، ثم لخص ذلك كله فى مقالته: «علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية Sociologie et Sciences Sociales» التى نشرت فى كتاب مناهج البحث فى العلوم De la methodes dans les sciences وهى التى نقدم لقراء الرسالة تلخيصها.

تناول دوركايم موضوعه من الناحية التاريخية مبيناً نشأة علم الاجتماع وتطوره، ثم قسّم العلم إلى الأبواب التى يدرسها؛ وأخيراً بين المنهج المتبع فى الدراسات الاجتماعية، وهو منهج يعتمد عند دوركايم على التاريخ والإحصاء؛ لا كعلمين بل كطريقتين للبحث العلمى

أولا: من الناحية التاريخية

إن أحسن وسيلة تتبع فى دراسة علم من العلوم التى لا تزال حديثة مثل علم الاجتماع، لتوضيح طبيعته وموضوعه ومنهجه، هى الرجوع إلى الوراء لنبين كيف ابتدأ وكيف تطور... لقد كان أوجست كونت Auguste Conte أول من وضع لفظ «سسيولوجيا Sociologie» فى القرن التاسع عشر قاصداً به علم المجتمعات ... فالاصطلاح إذن جديد والعلم جديد، وإن كان هناك دراسات نظرية عن الموضوعات السياسية والاجتماعية وجدت قبل كونت: فى «جمهورية» أفلاطون و «سياسة» أرسطو، وكتابات كامبانيللا وهوبز وروسو وكثيرين غيرهم. ولكن هذه الدراسات كلها تختلف اختلافاً جوهرياً عما يصدق عليه الاصطلاح الجديد. إنها لم تصف ولم تفسر المجتمعات على ما هى عليه، ولكنها كانت تبحث عما يجب أن تكون عليه تلك المجتمعات؛ بينما علم الاجتماع يدرس المجتمعات على ما هى عليه فى الواقع ليعرفها ويفهمها كما هى مثلما يفعل الفيزيقى، والكيميائى، والبيولوجى، فى دراستهم للظاهرات الفيزيقية والكيميائية والحيوية. فعلم الاجتماع إذن لا يريد إلا أن يعين الظاهرات التى يتناولها بالبحث وأن يكشف عن القوانين التى تنتج بمقتضاها هذه الظاهرات دون أن يهتم بالناحية العملية أدنى اهتمام

وعلم الاجتماع الحديث يفترض أن المجتمعات تخضع لقوانين معينة؛ وأن هذه القوانين تصدر بالضرورة عن طبيعة تلك المجتمعات وتعبر عنها. وكان تكوين هذا التصور بطيئاً، فقد كان الناس يظنون أن ليس ثمت شيء - حتى الجمادات نفسها والمادن - يخضع لقوانين معينة، بل إن كل شيء يمكنه أن يتخذ أى شكل كان، وأن يكتسب كل الخصائص الممكنة ما دام هناك قوة كافية لذلك. ونفس هذا التفكير كان يسيطر على عالم الظاهرات الاجتماعية. والواقع أنه لما كانت تلك الظاهرات الاجتماعية معقدة تمام التعقيد، كان من الصعب أن ندرك النظام الذى يمثلها، وبذلك ظن الناس أن ليس ثمت نظام بينها، وأن كل شيء ممكن فى الحياة الاجتماعية. أليست الظاهرات الاجتماعية تتعلق بنا نحن أفراد المجتمع، وبنا وحدنا؟ وإذن يمكننا بإرادتنا أن نعدل فيها وأن نصوغها فى أى شكل نريد. ومن هنا انصرف التفكير إلى البحث عما يمكن أن نفعله كيما نصوغها فى أحسن صيغة ممكنة ... ولكن فى القرن الثامن عشر ابتدأ الناس يرون أن «المملكة الاجتماعية» لها قوانينها الخاصة ككل «ممالك الطبيعة» الأخرى؛ فأعلن مونتسكيو Montesquieu أن «القوانين هى العلاقات الضرورية التى تستخرج من طبيعة الأشياء»، وقوله هذا ينطبق على «الأشياء الاجتماعية» انطباقه على جميع الأشياء الأخرى.

ثم جاء كوندرسيه Condrcet فأراد أن يضع النظام الذي يسيّر على رأيه التقدم البشري ، وأن يرسم أحسن حالة توضح أن ليس ت شيء يحدث عرَضاً أو يأتي اعتباطاً ، بل إن كل شيء يحدث حسب علل معينة . وفي نفس الوقت كان الاقتصاديون يرون أن ظاهرات الحياة الصناعية والتجارية يسيطر عليها قوانين خاصة تسير بحسبها . مع أن هؤلاء المفكرين كانوا يمهدون السبيل للفكرة التي يرتكز عليها علم الاجتماع الحديث ، فإن فكرتهم عن قوانين الحياة الاجتماعية كانت لا تزال غامضة مبهمة ؛ فهم لم يقولوا — ولم يريدوا أن يقولوا — إن الظاهرات الاجتماعية تسير في تسلسل وارتباط حسب علاقات علّية ـ علاقة معلول بعلته ـ وأن تلك العلاقات محددة ثابتة لا تتغير كما هو الحال في العلوم الطبيعية . فكانوا يرون أن الإنسانية يمكن أن تنقلب من حال إلى حال بدون استثناء

ولكن في القرن التاسع عشر ظهر فهمٌ جديد على يد سان سيمون أولاً ثم — على الخصوص — على يد أوجست كونت : فقد استعرض كونت في كتابه المعروف « دروس في الفلسفة الوضعية Cour de Philosophie Positive جميع العلوم في عصره ، فرأى أنها تقوم على أن الظاهرات التي تعالجها تربطها علاقات ضرورية ، وأنها ترتكز على مبدأ الجبرية déterminisme ، فذهب إلى أن ذلك المبدأ الذي يتحقق في جميع ممالك الطبيعة من أول مملكة الرياضيات ، حتى مملكة الحياة يجب أيضاً أن يتحقق في المملكة الاجتماعية[1] ، وبذلك ذهب المفكرون في أيامه عن النظر إلى المجتمعات كنوع من المادة المائعة المطاطة التي يمكن للانسان تشكيلها كيفما أراد ؛ اوإنما هي حقائق ووقائع لا يمكن تغييرها إلا بمقتضى القوانين التي تسيطر عليها وتوجهها . وعليه فإن نظم الأمم المختلفة مثلاً لا يمكن اعتبارها نتاجاً لإرادة الأمراء والحكام والمشرعين بل على أنها نتائج ضرورية لعلل معينة . فنحن نجد أنفسنا إذن أمام نظام للأشياء ثابت معين ، وأمام علم يقوم لوصف هذا النظام وتفسيره وتبيين خصائصه وإظهار أي العلل تعتمد عليها هذه الخصائص . وهذا العلم نظري بحت ليس للجانب العملي فيه أي دخل ؛ وهو علم الاجتماع . وكان أوجست كونت يسميه أولاً بالفيزيقا الاجتماعية La Physique Sociale كما يبين العلاقات التي تربطه ببقية العلوم الأخرى[1]

ولكن ، لا يعني ذلك أن المجتمع خاضع لنوع من القدرية fatalisme لا يمكن الإفلات منها ، وأن الناس لا يمكنهم أن يعدلوا من مجتمعهم وبذلك لا يمكنهم أن يؤثروا قط في تاريخ بلادهم ؟ الواقع أن لا ؛ فإن العلوم الوضعية كلها تخضع لمبدأ الجبرية دون أن يمنع ذلك من وجود تغيرات في كل منها : فعلم الطبيعة مثلاً لا ينكر وجود تغيرات في ميدانه الخاص ، ولكن تلك التغيرات تكون حسب قوانين موضوعه الخاصة . وعلم الاجتماع قبل كل شيء أعقد العلوم الوضعية كلها ، وإذن فمجال التغيرات فيه أوسع من أي منها . وهو لا ينكر وجود تغيرات وتعديلات في المجتمع ولكن الذي ينكره هو ألا تكون هذه التعديلات متمشية مع طبيعة قوانين المجتمع . وهو يرفض الفكرة القديمة في أن المشرعين يمكنهم أن يغيّروا المجتمعات حسب أهوائهم من نوع إلى نوع آخر يختلف عنه تماماً دون مراعاة العادات والتقاليد والبناء العقلي لأفراد المجتمع وهكذا .

وقد اعترض البعض على علم الاجتماع بأنه لا يتميز عن علم النفس ، بينما كان من شرائط العلم الحقيقي أن يكون قائماً بذاته لا يختلط موضوعه بموضوعات العلوم الأخرى . وما دام المجتمع لا يتكون إلا من الأفراد ، فعلم المجتمعات إذن لا يتميز عن علم الأفراد أي علم النفس ، ولكن لو صح هذا الاعتراض لوجب توجيهه إلى علم مثل علم الحياة (البيولوجيا) فهو — حسب هذه النظرة — ليس إلا جزءاً من علم الطبيعة والكيمياء ؛ لأن الخلية الحية مركبة من ذرات من الكربون والأزوت وغير ذلك ، وهنا تدرسها الكيمياء العضوية ... الواقع أن هؤلاء المعترضين ينظرون إلى الكل نظرتهم إلى الأجزاء التي يتكون منها ، بينما الأجزاء متى تدخل في الكل تفقد خصائصها الجزئية وتظهر بدلاً منها خصائص أخرى لا توجد في الجزئيات . هكذا الحالة في الخلية التي يدرسها علم الحياة . وهكذا الحال

(١) صنف أوجست كونت العلوم متتبعاً الأدوار المختلفة التي مرت بها المعرفة الانسانية ، فرتبها هكذا : الرياضة ثم الفلك فالطبيعة فالكيمياء فالبيولوجيا وأخيراً علم الاجتماع . وكل علم من هذه العلوم يعتمد على ما يسبقه من علوم ، وكل علم أبسط من العلم الذي يليه وأوسع منه ميداناً . فعلم الاجتماع إذن أعقد العلوم وأضيقها ميداناً ، لأنه لا يدرس إلا المجتمعات البشرية ، بعكس الرياضة مثلاً ، فميدانها واسع وتتدخل في كل شيء ولا تعتمد على غيرها .. وأسمى كونت هذا التصنيف « تسلسل العلوم » La Hierachie des Sciences

(١) وضع كونت لفظ Sociologie بدلاً من La Physique Sociale في عام ١٨٨٣ . والسبب الذي دعاه إلى هذا التبديل هو — كما يذكر في الدرس السابع والأربعين من « دروس في الفلسفة الوضعية » أنه لاحظ من العلماء تطفلاً غريباً على الاصطلاح القديم واستعمالهم إياه بكثرة وفي غير ما وضع له

هلال شوال

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَنِ الأَحْدَبُ النَّشْوَانُ طافَ العَوَالِمَا
وأَوْمأَ إلى الشَّرقِ المُهَلِّلِ باسِمًا !؟

يَدِبُّ عَلَى ساقٍ مِنَ النُّورِ لَمْ تَدَعْ
على الأرضِ رُكْنًا مُظْلِمَ الأُفُقِ وَاجِمَا

وَيَمْشِي كَمَا يَمْشِي نَبِيٌّ مُبَشِّرٌ
يُوَخِّي يَزُفُّ الخَطْوَ كَالطَّيْفِ حَالِمَا

وَيَرْنُو كَمَا يَرْنُو إِلَى اللهِ عَابِدٌ
يَكادُ مِنَ الإِصْغَاءِ يُحْسَبُ نَائِمَا

لَهُ قَامَةٌ أَحْنَتْ يَدُ الدَّهْرِ عُودَهَا
فَهَلْ كَانَ شَيْخًا مِنْ حِمَى الخُلْدِ قَادِمَا ؟

تَحَرَّرَ ، وَاسْتَعْلَى ، وَأَقْبَلَ ، وَانْثَنَى
فَلَوْ كَانَ إِنْسَانًا قُلْتُ : حَيْرَانَ ، نَادِمَا !

يَشُقُّ عُبَابَ الجَوِّ ... لاَ بَحْرَ عِنْدَهُ
وَلاَ شَطَّ لَكِنْ يَذْرَعُ النُّورَ هَائِمَا ...

هَفَا طَرْفُهُ في الغَربِ وجْدًا ! كأَنَّهُ
يُرِيدُ انْبِثَاقَ النُّورِ لِلشَّرقِ دائِمَا ...

أَطَلَّ رَخِيمَ النُّورِ تَحْسَبُ ضَوْءَهُ ... تَحَمَّلَ إِيقَاعًا مِنَ الطَّيْرِ نَاغِمَا
هِلاَلٌ يَكادُ المُسْلِمُونَ صَبَابَةً ... يَطِيرُونَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ حَمَائِمَا
أَشَارَ لِمَاضِيهِمْ بِكَفٍّ مُلأْلِئٍ ... تَرَامَتْ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ حَوَائِمَا

يُعَاتِبُ مَنْ أَغْفَتْ عَنِ النُّورِ عَيْنُهُ
وَكَانَ لِشَرْعِ اللهِ فِي الأَرْضِ هَادِمَا

وَمَنْ رَاحَ يَسْتَجْدِي المَسَاكِينَ قَلْبُهُ
فَمَا كَانَ وَهَّابًا ، وَلاَ كَانَ رَاحِمَا ...

وَمَنْ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَيَمْضِي كَأَنَّهَا
عَلَى سَمْعِهِ عَذْلٌ يُطَارِدُ ظَالِمَا ...

وَمَنْ حَفَّ لَيْلَ العَاثِرِينَ لِصُبْحِهِ ... فَلَمْ يَكُ إِلاَّ مُظْلِمَ النُّورِ قَاتِمَا
وَمَنْ جَاءَهُ البَاكِي فَقَرَّ بِدَمْعِهِ ... وَخَلاَّهُ مُنْهَلَّ الجِرَاحَاتِ سَاجِمَا
وَمَنْ هَزَّ وَسْوَاسُ النَّعِيمِ فَضَاءَهُ ... وَخَيَّمَ فِي أَكْنَافِهِ الدَّهْرَ نَاعِمَا ؛
وَمَدَّتْ لَهُ الأَيَّامُ كَفًّا يَتِيمَةً ... فَكَانَ لَهَا بَرْحًا يُعِيدُ المَآتِمَا
وَمَنْ زَخْرَفَ الدُّنْيَا جَمَالاً وَعِفَّةً ... وَيَعْمَى فَيُسْقَى مِنْ يَدَيْهَا المَآثِمَا

وَمَنْ كَانَ مِثْلَ الشَّرْقِ تَغْلِي جِرَاحُهُ
فَيَتْرُكُهَا لِلدَّاءِ تَغْدُو مَغَانِمَا

مَضَى كُلُّ شَعْبٍ لِلسَّمَاءِ مُوَحَّدًا ... وَنَحْنُ عَلَى البَلْوَى عَشِقْنَا التَّقَاسُمَا

حِمَانَا حِمَى الإِسْلاَمِ ، وَالنُّورِ ، وَالهُدَى
فَكَيْفَ غَدَوْنَا لِلْعِبَادِ غَنَائِمَا !

وَمَا نَحْنُ إِلاَّ مُهْجَةٌ ، مَنْ أَثَارَهَا ... أَثَارَ بِجَنْبَيْهَا اللَّظَى والسَّمائِمَا
نَمَانَا تُرَابُ الخَالِدِينَ ، وَضَمَّنَا ... ثَرَى مَشْرِقٍ ضَمَّ العُلاَ والمَكَارِمَا
إِذَا قَلْبُ «لُبْنَانَ» تَنَهَّدَ بِالأَسَى ... سَمِعْتَ حَفِيفَ الأَرْزِ في النِّيلِ جَاحِمَا
وَإِنْ أَرْعَشَتْ مَوْجَ الفُرَاتِ كَآبَةٌ ... رَأَيْتَ أَسَاهَا فِي رُبَى مِصْرَ غَائِمَا
وَإِنْ أَسْعَدَتْ مِصْرَ اللَّيَالِي سَمِعْتَهَا ... حَدِيثًا بِقَلْبِ الشَّرْقِ رَيَّانَ نَاغِمَا
فَيَا (نِيلُ) خُذْ عَنَّا الزِّمَامَ وَطِرْ بِنَا ... وَلاَ تَخْشَ لَيْلاتِ الخُطُوبِ الفَوَاحِمَا

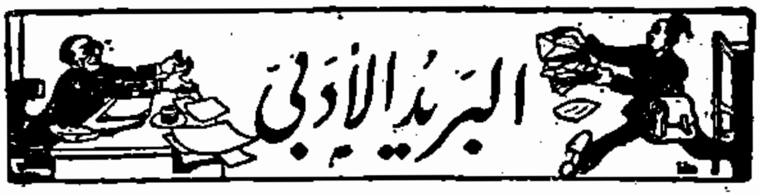
في المجتمعات التي يدرسها علم الاجتماع ؛ فإن من ارتباط الناس بعضهم ببعض تظهر حياة جديدة مختلفة بالمرة عن حياة الأفراد لو عاش كل منهم وحده . إن الشرائع والمعتقدات الدينية والنظم السياسية والتشريعية والخلقية والاقتصادية ، وعلى العموم كل ما يكون الحضارة ، لا يوجد إذا لم يكن تحت مجتمع ما ، وبذلك فعلم الاجتماع غير علم النفس

هذا هو علم الاجتماع كما وضعه أوجست كونت

وقد اتسع نطاق العلم وتعددت ميادينه في السنوات الأخيرة وتخصص له عدد كبير من العلماء وخاصة في فرنسا ، ولا زال العلم محتفظاً إلى الآن بعمدته الأساسي : مبدأ الجبرية الكلية في المملكة الاجتماعية كما في بقية ممالك الطبيعة الأخرى . ويعزز من هذا المبدأ ما يذكره علماء الاجتماع من أن هناك نظماً خلقية أو تشريعية أو عقائد دينية معينة توجد مشتركة بين جميع المجتمعات التي تتشابه فيها شروط الحياة الاجتماعية وظروفها . ومهما كانت تلك المجتمات متباعدة بعضها عن بعض ، فإن تلك النظم تتشابه ، حتى الدقائق والتفصيلات .

أحمد أبو زيد

(البقية في العدد القادم)



أوراق متساقطة من «قصة الأدب»

قرأت في كتاب « قصة الأدب » للأستاذين أحمد أمين وزكي نجيب محمود ما يأتي :

« ... ولئن كان المصريون الأولون ينقشون آثارهم على جلاميد الصخر، فقد كانت بابل تكتب آثارها على ألواح من الطَّفل وهي أيسر حملاً وأخف ثقلاً »

فإن كان ذلك حقاً فمن العجيب ألا نجد للبابليين أدباً أو شبه أدب

والجواب، كما ذكره الأستاذان : « أنه لم يحدث ذلك لأن القراءة الشعبية لم يكن لها وجود، ولم يكن يعرف القراءة والكتابة إلا نفر قليل من القساوسة والنساخ، وكانت الكتابة مقصورة على موضوعات الدين وأعمال الملوك »

وهل اقتصرت الكتابة حقيقة على موضوعات الدين وأعمال الملوك ؟ فأين ذهبت ملحمة كلكامش إذن ؟

أنا ما كنت أعرف عن هذه الملحمة شيئاً إلى أن قرأت عنها في مجلة « الثقافة » في العدد الثالث والثلاثين، السنة الأولى تحت عنوان : « أقدم شعر في التاريخ » ما يأتي بنصه :

« قد يظن القارىء أول وهلة أن أقدم شعر عرفته الإنسانية هو الشعر الهندي في أثريه المعروفين (الرامايانا) و (المهابهارتا) وكذلك الشعر الهوميري لأن كليهما يعود تاريخه إلى ما لا يقل عن عشرة قرون قبل الميلاد، ولكن الأستاذ جورج كونتنو أمين القسم الشرقي بمتحف اللوفر، بمجموعة الأشعار التي قدمها أخيراً مترجمة عن البابلية تحت اسم (ملحمة جلجاميش) (1) يؤكد أن هذه المجموعة هي أقدم شعر عرفته الإنسانية لأن تاريخها يرجع إلى ما قبل التاريخ المعروف »

« وهذه المجموعة عبارة عن ملحمة شعرية تقص نبأ حياة جلجاميش بطل القصة، وكيف أنه مركب من جزء من الإنسان وجزأين من الآلهة على عكس خصمه انكيدو المركب من طبيعة حيوانية صرفة. وتفيض الملحمة بعد ذلك في وصف بطولة جلجاميش، وكيف أنه قاد أنكيدو المركب من طبيعة حيوانية إلى أرض خصبة وأكسبه صفات إنسانية، ولكنهما بعد ذلك اختلفا وتخاصما ونشبت بينهما معركة تشبه في كثير المبارزات التي وصفتها الإلياذة والمهابهارتا. ولكنهما خرجا أخيراً من هذه المعركة صديقين لا ينفصلان »

« وهكذا تمضي القصة في سرد أنباء جلجاميش سليل الآلهة وأنكيدو ممثل الحيوانية حتى يموت أنكيدو، ويحزن عليه جلجاميش، وينصرف وقتاً باحثاً عنه، ومتحريا عن حقيقة الموت دون جدوى »

« وقد صدرت هذه الملحمة بالفرنسية منذ أسابيع قلائل مقدمة ببحث طريف عن تاريخ العصر الذي تصفه بقلم المسيو كونتنو مترجمها »

لقد قرأت كل هـذا في مجلة « الثقافة » ، وكلنا يعرف

(1) L'Epopée de Gilgamesh, Poeme Babylonien Par George Conteneau

عهدناك في الأهوال تحمل رايةً ... عليها أغاني المجد تسبق « آدما »
ويا ما أُحَيْلَى موجة فيك حُرةً ... ترف فتهدي للعباد المغانما !
ويا ما أُحَيْلَى جنةً فيك نضرةً ... تمنت شعوب الأرض منها النسائما
تغنيت رقراقاً، وأشجيت هادراً ... كأنك تشدو للزمان ملاحما
خفقت بصدر الشرق سراً مقدساً ... من السحر أعيى رهبة وطلاسما
على شطك الميمون تاج وصولج ... يهز حجاب الشمس بأساً علاهما
تلفت تر الدنيا عرتها نفاثةٌ ... من الجن هدت قلبها والمعالما
غدتْ ملعباً للموت، وهذا مجندل ... وهذا صريع، والجُناة كلاهما !
إذا كان هذا الهول يُدعى حضارةً ... فنحن على التجديد أرسى دعائما
فيا شرق طال النوم، فانهض، فإنما ... يد الذل تجتاح الشعوب النوائما
تزود من الأخلاق إن سلاحها ... يفل حديد الظلم إن هب غاشما
ثراك مهاد الأنبياء، بشطه ... تدفق نور الكون كالسيل عارما
فأشعل رماد الخامدين، وقل لهم ... هنا جذوة الماضي تثير العزائما
وأصغ إلى بوق النشور، يهزه ... من النيل صداح على الأيك طالما
أتاك يناجي العيد فاهتاج قلبه ... فلم يدر أشعاراً شدا أم تمائما...

محمود حسن إسماعيل

أنها للأستاذ أحمد أمين ... فهل سها الأستاذ عن مثل هذه الملحمة عند ما جاء مع الأستاذ زكي نجيب محمود يصنف الأدب القديم ؟ وهل يسهو اثنان ؟!

وهل اكتفى الأدب البابلي بهذه الملحمة ؟ إن كان ذلك حقاً فأين ذهبت «أسطورة تيموز وعشتار»[1] و «ترنيمة عشتار»[2] ؟

ولا أحسب المراجع قد أعوزت الأستاذين ، فإن كان ذلك فهناك كتب عدة أحسب أن أجدرها بالذكر : « الأساطير البابلية والآشورية للأستاذ دى . اى . مكنزى »[3] وملحمة « كلكاميش » الآنفة الذكر

(بغداد) نزار الحاج سليم

إلى الأستاذ الفاضل صلاح الدين المنجد

ليس أيسر على المترجم ياصديقي من أن يفتح القاموس فيعرف مرادف الكلمة التي يريد نقلها إلى العربية فيأخذه دون مشقة ولا عناء . غير أني أكره هذه الطريقة المرتجلة في الترجمة . ولما كنت آخذ نفسي هذه الأيام بالدعوة إلى سلك الأدب المسرحي في الأدب العربي ، وبالتالي إلى تجديد الأدب العربي ، وذلك في حدود التواضع الكبير (!) فقد مهدت في رأس الفصل الأول من فصول نشأة الدرامة الإنجليزية بأن لي غرضاً خاصاً من نشر هذه الفصول ... على أنني لا أدري لماذا استثقل ذوقك الرفيع كلمة (السمميات أو الإنجيليات مرادفاً لكلمة Mysteries التي تعني الأسرار الغامضة بالترجمة الحرفية ؟ ... لقد استعملت كلمة السمميات بمعناها الديني الذي يعرفه المسلمون عن جميع الأسرار الغامضة التي لا يصح البحث فيها ، أو التي يعجز العقل عن تعليلها ؛ فماذا غير السمميات يكفل أداء هذا المعنى ؟ وقد فسرتها أيضاً بالإنجيليات لأن جميع مؤرخي الأدب والمسرح الإنجليزي يفسرون هذا النوع من أنواع الدرامة الإنجليزية ، بأنه النوع الذي تؤخذ موضوعاته بحوارها من الإنجيل مباشرة دون تغيير أو تبديل . وهكذا أراني وفقت كل التوفيق في وضع هاتين اللفظتين لكلمة Mysteries

أما ترجمة Miracles بدرامات الخوارق كما يقترح أخي فقد رأيتها ترجمة قاموسية لا تتفق والعلم المسرحي الذي نحن بصدده ؛ فالخارقة تصدر عن أي إنسان ؛ أما الكرامة فتصدر عن القديسين عند المسيحيين وعن الأولياء عند المسلمين ؛ ولهذا آثرت النسبة إليها فقلت الدرامات الكرامية ، ثم أردت أن أربطها في ذهن القارئ — وذلك من صناعة التعليم التي مارستها عشرين عاماً — فقلت ، أو القديسية ، وذلك لأنها درامات تتعلق بحياة القديسين أولاً وبما كان يصدر عنهم من (خوارق) — أو كرامات ، ثانياً . فأي بشاعة يا أخي صلاح في هذا الذي آثره صاحب أساطير الإغريق ؟!

وبعد ، فلا عليك من ذلك ؛ ولكن لي رجاء يودي أن تحققه مع الصفوة من أصدقائي أدباء الشام . إن باكورة أعمالك المسرحية التي تفضلت فأرسلتها إليّ تشف عما يختبئ فيك من الروح الدرامي العظيم ، فهل انتويت أن تتحف الأدب العربي بثمرة ثانية وثالثة ... وعاشرة ، أم أنت في حاجة إلى محاربة روح التشاؤم فيك ، كما نحاربه في أدبائنا . . . أرجو أن تبدأ الشوط مع أدباء الشام الأعزاء ، وإن كنت أسأل الله أن يوفق أدباء مصر إلى الفوز بقصب السبق ... وتقبل تحيتي .

دريني خشبة

إلى الأستاذ أحمد الصافي النجفي

وصلني اليوم هداياك الثلاث : قصيدتك ، وتحاياك ، وأشواقك ؛ ففرحت بالأولى ، ولم أنكر عليك كثيراً الهديتين الأخريين ...

وكم أحب أن يتصل البريد الأدبي بينك وبين « الرسالة » . وأكتفي منك بالبريد الذي يحمل الأشواق والتحايا ...

ومنذ أسبوعين حدثني الدكتور طه حسين بك أنه سيُعنى بشعرك عناية خاصة بعد رجوعه من لبنان ، وأعتذر بكثرة مشاغله التعليمية التي حالت من دون جوابه السريع . وكل ما أرجو ألا تغيب عن قراء « الرسالة » الذين طال شوقهم إليك

عبد القادر جنيدي

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية في مقال «أعداء النساء» المنشور بالعدد (٥٣٢) من الرسالة الغراء تصويبها فيما يأتي :

بحورة	— وصوابها :	جبل الجورة
خصومة بهم	— »	خصومة بهم
مما ، وزل	— »	مما فرط من قول وزل
أو التي ينشرن	— »	أو اللاتي

(١) Myths of Tammys and Ishtar

(٢) Hymn to Ishtar

(٣) Myths of Babylonia and Assyria D. A. Mackenzie

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)